

سلسلة الرسائل (18)



في صفة تكمير التّاء

كتبه: أحمد بن محمد بن ناصر التّام

بَحْثٌ فِي صِفَةِ تَكْرِيرِ الرَّاءِ

كتبه: أحمد بن محمد بن ناصر التام

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير...

الحمد لله الذي أبدع ما خلق، وأتم خلق الإنسان من علق، علم بالقلم، وشرع فأحكم، وأنزل كتبه وأرسل رسله، كل ذلك لأجل خير الناس وإقامة الحجة وقطع المحجة، فأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله -صلى الله عليه وسلم- المؤيد بمعجزة القرآن الخالدة، والمرسل بالبينات والمنزل معه الكتاب والميزان، وعلى آله واصحابه.

هذا بحثٌ في مسألة من مسائل صفات الحروف في علم التجويد، وهي صفة التكرير لحرف الرّاء، وما فيها من الكلام والنقاش، وقد بحثت ذلك ووسعت النقول عن أئمة العربية والتجويد والقراءات، وخلصتُ في هذا البحث إلى ما تراه، وبالله التوفيق.

التمهيد:

من المعلوم في علوم اللغة والقراءات والتجويد أن للحروف مخارج وصفات تميز بعضها عن بعض، فالراء من الحروف الدُّقِّيَّة لكونه من جملة الحروف التي تخرج من دُّلْق اللسان، ومخرجه: من طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا بالقرب من الظهر؛ ولكون اللسان مخلوق بقدرة الله وكأنه فلقطين، شق لليمين وشق لليسار، فعند ارتفاع طرف اللسان حال خروج الراء ليقرع ما يحاذيه من سقف الحنك الأعلى، يبقى في وسط طرف اللسان فجوة، لأن اللسان في هذه الحالة مقعرًا، وهذه الفجوة هي التي يمر منها جزء من الهواء عند نطق الراء، والتي لولاها لا نقفل المخرج تمامًا، وانحبس الهواء خلف اللسان، والراء لا ينقفل مخرجه تمامًا، فليس هو بالشديد فينحبس الصوت انحباسًا كاملاً حال خروجه، ولا هو

بالرخو فيجري الصوت جرياناً كاملاً كذلك، وإنما هو من الحروف البينية، فالتكرار في أصل المخرج ملازمٌ له، والاقتصاد في ضبط التكرار يكون بترك الفجوة ليخرج بسهولة وخفة، ولتحقق صفة البينية، ولا تعدم صفة التكرير من غير إفراط فيها أو تفريط.

ولحرف الراء صفات، منها: الجهر¹، والبينية²، والاستفال³، والانفتاح⁴، والإذلاق⁵، والانحراف⁶، والتكرار، ومعنى التكرير في اللغة: الإعادة؛ واصطلاحاً: ارتعاد طرف اللسان بالراء ارتعاداً خفياً، وذلك لضيق مخرجها.

¹ (فحّثه شخص سكت) هذه حروف الهمس وباقي الحروف مجهورة.

² البينية يجمعها: (لن عمر).

³ (خص ضغط قط) هذه حروف الاستعلاء وباقي الحروف مستقلة.

⁴ (ص، ض، ط، ظ) هذه حروف الإطباق وباقي الحروف منفحة.

⁵ الإذلاق يجمعها: (فر من لب).

⁶ الإنحراف حرفان هما اللام باتفاق، والراء على خلاف.

وقال الشريف الجرجاني(ت816هـ):

التكرار هو عبارة عن الإتيان بشيء مرة بعد أخرى⁷. ا.هـ

⁷ التعريفات (65).

فصل

وللعلماء في تكرير الرأ ثلاثة مذاهب:

المذهب الأول: التكرير:

قالوا: لأن التكرير صفة لازمة للرأ؛ والواقف إذا وقف عليه وجد طرف اللسان يتعثر بما فيه معنى التكرير، ولذلك يعد في الإمالة بحرفين، والحركة فيه تنزل منزلة حركتين.

والمذهب الثاني: منع التكرير.

وقالوا: هذه الصفة تُعرف لتجنب، لا ليعمل بها؛ عكس باقي الصفات.

وكون الرأ موصوفة بالتكرير، أي: قابلة له، وليس المراد الإتيان به وتكريره.

قال أبو حيان - رحمه الله - (ت745هـ):

وبالتكرير قرأنا على من قرأ بشرق الأندلس، وبعد
التكرير البتة قرأنا على شيوخ غرناطة، وهو مذهب مكي
وأبي عبد الله المقامي⁸. اهـ

والمذهب الثالث: التوسط:

فقالوا: أن التكرير صفة لازمة لحرف الراء، تأتي معه
عند النطق به، ولا سبيل للتخلص منها، ولكن يجب
التحرز من الزيادة فيها، بحيث لا يزيد التكرير عن حركة
واحدة، وليس المقصود بإخفاء التكرير انعدامه بالكلية.

⁸ إرتشاف الضرب (19/1).

فصل

التحقيق في المسألة

قال سيبويه (ت180هـ):

ومنها -أي: الحروف- المكرر وهو حرفٌ شديدٌ يجري فيه الصوت لتكريره وانحرافه إلى اللام، فتجافي للصوت كالرخوة، ولو لم يكرر لم يجر الصوت فيه، وهو الرء⁹. ١.هـ

وقال محمد بن يزيد المبرد (ت285هـ):

اعلم أن الرءاء مكررة في اللسان، ينبو فيها بين أولها وآخرها نبوة، فكانها حرفان¹⁰. ١.هـ

وقال ابن السراج (ت316هـ):

⁹ الكتاب (435/4).

¹⁰ المقتضب (48/3).

الرَّاءُ فيها تَكْرِيرٌ في مخرجها¹¹. ا.هـ

وقال الحسن السيرافي (ت368هـ):

اعلم أن الراء فيها تكرر إذا نطق بها ومدَّ الصوت، والتكرير الذي فيها يمنع الإمالة إذا كانت مضمومة أو مفتوحة أكثر من منع غيرها من الحروف سوى الحروف المستعلية، وإذا كانت مكسورة فهي تقوى على الإمالة أكثر من قوة غيرها من الحروف المكسورة؛ لأنها إذا كانت مضمومة أو مفتوحة فكأن الفتح أو الضم يتضاعف فيها، وهما يمنعان الإمالة، وإذا كانت مكسورة فكأن الكسر يتضاعف فيها وهو يقوي الإمالة¹². ا.هـ

وقال ابن خالويه (ت370هـ):

¹¹ الأصول في النحو (167/3).

¹² شرح كتاب سيبويه (3/5).

لأن الراء حرف فيه تكرير، ففتحتها بمنزلة فتحتين كما كانت كسرتها بمنزلة كسرتين¹³. ا.هـ

وقال أبو علي الفارسي (ت377هـ):

الراء حرف من مخرج اللام فيه تكرير¹⁴. ا.هـ

وقال ابن جني (ت392هـ):

في الراء تكريراً، فكادت تكون الراء الساكنة لما فيها من التكرير في حكم المتحركة لزيادة الصوت بالتكرير نحوًا من زيادته بالحركة،... وذلك أن التكرير في راء (فَرَد) كاد يكون كالحركة فيها فصار (فَرَد) وإن كان فعلاً ساكن العين، كأنه فعل محرکها¹⁵. ا.هـ

¹³ إعراب القراءات السبع وعللها (184/1).

¹⁴ الحجة للقراء السبعة (118/3).

¹⁵ المحتسب في تبیین وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها (311/1)، وانظر -أيضاً- الخصائص (166/2) له.

وقال أبو عمرو الداني (ت444هـ):

الراء حرفٌ مجهورٌ شديدٌ مكرراً، حركته تعد حركتين لتكريره؛ قال سيبويه: والراء إذا تكلمت بها خرجت كأنها مضاعفة، والوقف يزيدها إيضاحاً.

فإذا أتى مشدداً توصل إلى النطق به بيسر من غير تكرير ولا عسر، وذلك نحو: (ضراء)، و(مرّ كأن)، و(خرّ موسى)، و(السرّاء والضراء)، و(أشدّ حرّاً)، و(إلى ضرّ)، و(لمن ضرّه)، و(من ضرّ)، وما كان مثله¹⁶. اهـ.

وقال العلامة الحافظ ابن الجزري -رحمه الله- (ت833هـ):

الحرف المكرر وهو الراء، سُمّي بذلك لأنه يتكرر على اللسان عند النطق به، كأن طرف اللسان يرتعد به،

¹⁶ التحديد في الإتيان والتجويد (153).

وأظهر ما يكون إذا اشتدت، ولا بد في القراءة من إخفاء
تكريرها، وقد جرى فيه الصوت لتكرره وانحرافه إلى
اللام، فصار كالرخوة¹⁷. اهـ

وقال -رحمه الله- في (النشر):

والحرف المكرر هو الرَّاء؛ قال سيبويه وغيره: هو حرفٌ
شديدٌ جرى فيه الصوت لتكرُّره وانحرافه إلى اللام فصار
كالرَّخوة، ولو لم يُكرر لم يجر فيه الصوت.

وقال المحققون: هو بين الشدة والرَّخوة.

وظاهر كلام سيبويه: أن التكرير صفة ذاتية في الراء،
وإلى ذلك ذهب المحققون، فتكريرها رُبُّوها في اللفظ
وإعادتها بعد قطعها، ويتحفظون من إظهار تكريرها،

¹⁷ التمهيد في علم التجويد (95).

خُصُوصًا إِذَا شُدِّدَتْ، وَيُعْذُّونَ ذَلِكَ عَيْبًا فِي الْقِرَاءَةِ،
وَبِذَلِكَ قَرَأْنَا عَلَى جَمِيعٍ مِنْ قَرَأْنَا عَلَيْهِ، وَبِهِ نَأْخُذُ¹⁸. ا.هـ

وقال عبد العزيز القارئ المدني (ت1444هـ):

التكرير في حرف واحد وهو الراء، والمراد بتكريره: أن
طرف اللسان لا يستقر عند النطق به بل يرتعد، وبارتعاذه
يتذبذب الصوت ويمر في المخرج دون ضغط ولا شدة،
وهو حرف قابل لزيادة التكرير فلو ترك له العنان لازداد
ارتعاد طرف اللسان به حتى تتولد عدة راءات، وهذا ما
حمل بعض المجودين على القول بأنه يجب الاحتراس
من التكرير، ومرادهم الزيادة؛ يقول ابن الجزري في
التمهيد: ولا بد في القراءة من إخفاء تكريرها.

¹⁸ النشر في القراءات العشر (205/1).

أقول: وطريقة ذلك أن يترك الإنسان طرف لسانه يرتعد
ارتعاده واحدة لطيفة خفيفة بعد أن يحاذي به أصول الثنايا
ثم يلصقه بها حتى يمنع استمرار التكرير، وأوضح ما
تكون هذه الصفة في الرء إذا كانت مشددة، ولذلك ينبغي
الحرص على عدم الزيادة في التكرير عند النطق بالرء
المشددة، وذلك مثل: (وخرّ موسى)، (أشدُّ حرًّا)،
(الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ)¹⁹. اهـ.

وقال -رحمه الله- في (التجويد الميسر):

التكرار هو تحرك طرف اللسان، ولا يكون ذلك إلا في
الرء، ويجب ألا يزيد التكرار عن حركة واحدة، وبهذا

¹⁹ قواعد التجويد على رواية حفص عن عاصم بن أبي النجود (68-
69).

التكرار يحصل الفرق بين الراء وغيرها من
الحروف²⁰. ا.هـ

وبعد نقل هذه الجملة من الأقوال عن علماء اللغة
والقراءات والتجويد، في مسألة تكرير الراء، وأنها صفة
لها، يتبين لنا إجماعهم على أن الراء حرفٌ مكرر، وأن
صفة التكرير في علم التجويد مقتصرةٌ عليه ولا تتعداه
إلى حرفٍ آخر، وإنما اختلافهم في هل صفة التكرير
ملازمة أم قابلة؟ فالمذهب الأول على ملازمتها ولا
انفكاك عنها بحال فقال: بالتكرير.

والمذهب الثاني، قال هي صفةٌ مخالفةٌ لنظائرها من
الصفات الأخرى، وإنما تُعرف وتُعلم لتُجتنب.

²⁰ التجويد الميسر (28).

وعند التحقيق والانصاف: المذهب الثالث أرجحها وأقواها، وهو ما عليه جماهير العلماء وخصوصًا من أهل الأداء، فإن إقرارهم بكون الراء حرف مكرر بطبيعة مخرجه، إقرارًا بالتكرير -قل أو كثر-، ولكن من يتشددون في المنع قد يوجه كلامهم بأن مقصدهم: لا ينبغي التساهل في اطلاق العنان له، كي لا يتكرر مرارًا كثيرة؛ وإنما ينبغي بغير تكلف نطقه النطق الصحيح، وإخراجه من مخرجه السليم، ولا بد من ارتعاد اللسان فسيحصل تكرار سلس خفيف، وقد قيده بأن لا يزيد عن حركة واحدة وجوبًا.

وأما ما قاله ابن بلبان الحنبلي -رحمه الله-
(ت1083هـ):

وأما التكرار فيوصف به الرأ فقط، ومعنى وصفه به:
كونه قابلاً له، أي: فيجب التحرُّز منه²¹. اهـ

فنقول: توجيه هذا الكلام على نحو توجيه ما تقدم من كلام
السادة العلماء، والمحققين من أهل الأداء، وأن مقصودهم
بالتحرُّز عدم إطلاق العنان له، لا شدة والضغط عليه
فيخرج حرفاً آخر، ويقع بهذا الكلفة والمشقة.

والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه
وسلم.

²¹ بغية المستفيد في علم التجويد (29).